تأثير الثقافة الأندلسية
فى شبه الجزيرة الأيبيرية

الدكتور
الدهمانى سالم الدهمانى

يتناول هذا العرض تأُثير الثقافة العربية الإسلامية بالأندلس فى أسبانيا المسيحية ، حيث عاش كل من الطرفين فترة هدنة حقيقية لعدة قرون فحدث التأثير والتأثر سواء فى الآداب أو اللغة أو الفن والعادات والتقاليد أو النظم السياسية والاجتماعية وغيرها ، فكان لهذا التسامح الديني والتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين فى شبه الجزيرة الأيبيرية أثره فى انتقال الحضارة العربية الإسلامية عبر الأندلس إلى أوربا ، ومن المعروف أن الأندلس لم يكن يحمل السلاح دوما فى وجه جيرانه حتى فى اللحظة التي تحولت فيها الأندلس إلى قوة لا تقاس وخاصة ، فى عهد المنصور بن عامر مع نهاية القرن العاشر الميلادي فى الوقت الذي كانت إمبراطورية شارلمان تلفظ أنفاسها الأخيرة ، حيث أن البحر المتوسط عندما أصبح بحيرة إسلامية بدأ يحمل معه رسائل السلام والمحبة ، ولم يتحول إلى بحيرة همجية أو بحر مظلم مثلما حدث مع فرنسا وألمانيا وإيطاليا خلال العصور الوسطى . [1]

لقد عاش الأندلس الإسلامي فترات هدنة حقيقية استمرت لقرون عديدة دون حروب قدم خلالها الأندلس بسخاء أكثر ما تلقى ، وبرهن على روحه المتسامح . وفيما يتعلق برعاية المسيحيين فقد حافظ القادة المسلمون وخاصة إبان الفتح الإسلامي القرن الأول الهجري على الدين القديم لدولة القوط ، حتى بعد أن دخل عدد كبير من الرهبان المسيحيون إلى الإسلام ، حيث أصبح الرعايا المسيحيين يتمتعون بنظام اجتماعي أفضل فى المدن الأندلسية ، حيث كان لتلك الجاليات المسيحية بالأندلس كنائسها ، وأديرتها الخاصة بها ورئيسها المسئول عنها وعن ضرائبها ، وكان لهم قاضى يطبق

---

1 – ليفى بروفنسال – الحضارة العربية فى اسبانيا ، ترجمة الطاهر أحمد مكى دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، 1994،ص100

فى أحكامه القانون القوطى القديم تحت إشراف الدولة الأموية ويخضع لرقابتها [2].

لقد كان هناك نوع من التسامح الديني فى شبه الجزيرة الأيبيرية بين المسلمين والمسيحيين ، وكان حكام الدولة الإسلامية بالأندلس يشرفون على ما تنتهي إليه الانتخابات لاختيار كبار الدين المسيحي ، مثل اختيار مطران طليطلة وأسقف قرطبة ، وكان الأمير والخليفة يستخدمون هؤلاء إذا دعت الضرورة وخاصة فى السفارات والمهمات السياسية السرية [3].

وحول ما يتعلق بالتداخل الثقافي فى اللغة العربية فنجد عدد كبير من الإسبان المسيحيين من تعلم العربية وتضلع فيها وحذق آدابها ، وزاد الاهتمام بها عند عامة الشعب فى شبه الجزيرة وهو ما نشاهده من خلال شهادة لأحد رجال الدين المناهضين للإسلام فى شبه الجزيرة الأيبيرية خلال القرن التاسع الم يلادى ؛ وهو بارون قرطبة حيث يحزن لعدم اهتمام المسيحيين فى اسبانيا بلغتهم وجهلهم باللاتينية ، ويمجد فى بلاغة رائعة الثقافة الأندلسية ، وقد نقل المؤرخ دوزى بعض الفقرات التي استشهد بها . " إن أخواني فى الدين يجدون لذة كبرى فى قراءة شعر العرب وحكاياتهم ويدرسون مذاهب الفقهاء والفلاسفة المسلمين فى عمق ليكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا ... لقد نسى النصارى حتى لغتهم فلا نكاد نجد واحدا منهم من الألف شخص يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابا سليما ، أما عن الكتابة فى اللغة العربية ، فإنك فيهما تجد عددا كبيرا يجيدونها فى

---

2 – ليفى بروفنسال ، مرجع سابق ، ص 33–34.

3 – أسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر الميلادي ، ص34.

أسلوب منمق ؛ بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا [4].

لقد كان الاتصال بين المسلمين فى الأندلس والأسبان المسيحيين خلال العصور الوسطى ليست فى نطاق محدود ولا علاقات مباشرة ، وحتى الخلافات فى العقيدة لم يقف حائلا أمام قيام مصاهرة ، وخاصة مع بداية الفتح الإسلامى . فقد تزوجت إيلة Egilon أرملة آخر ملوك القوط لذريق من الأمير المسلم عبد العزيز ابن القائد موسى بن نصير ، وذكرها المصادر باسم أم عاصم ، كذلك الخليفة عبد الرحمن الناصر كان حفيد أميرة مسيحية من إقليم الباسك اسمها إنيجه Iniga ، ودونت فى المصادر الإسلامية تحت اسم درّ ، وكذلك تزوج المنصور بن أبا عامر الحاجب المعروف فى أواخر الدولة الأموية من إحدى بنات شانجة الثاني Sancho ملك مملكة نبره ، وتطلق عليها المصادر الإسلامية اسم عبده ، ولقبت باسم شنجول Sanchulo ، وهو تدليلا وتصغيرا فى لفظ شانجه حتى يذكرها بأبيها [5].

لقد كان تأثير أسبانيا المسيحية على أسبانيا العربية المسلمة لا يمكن أن يقارن إذا ما نظرنا إلى تأثيرات أسبانيا المسلمة فى أسبانيا المسيحية ، لقد كان الإشعاع الحضاري الذي أنارت به قرطبة يومها على المسيحية الغربية حقيقة يظهر فيها أن العطاء كان من جانب واحد طبيعيا ،

---

4 – دوزى – تاريخ المسلمين فى أسبانيا ، الطبعة الجديدة ، الجزء الأول ، ص 327.
أنظر أيضا :
– ليفى بروفنسال ، مرجع سابق ، ص529، 101.
– زيغريد هونكه" شمس العرب تسطع على الغرب " ، ص75.
5 – أسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر الميلادي ، ص35.

ولم يكن هناك مبادرات بين الجانبين تذكر ومن ذلك الوقت أخذ الإشعاع الحضاري يؤكد ذاته ، حيث تذكر المصادر العربي ة والأوربية أن الشاعرة روزيتا Hroswtha السكسونية قد نظمت أبياتا من الشعر فى منتصف القرن العاشر الميلادي وهى فى ديرها منعزلة بألمانيا تصف فيها عاصمة الأمويين قرطبة بأنها " جوهرة العالم الساطعة ، مدينة جديدة ورائعة فخورة بقوتها وشهيرة بمباهجها مزهوة بما تملك من خير وفير " (6).

وفيما يتعلق باللهجات بين شعوب الجزيرة الأيبيرية خلال العصور الوسطى ؛ فقد أدى الاحتكاك المستمر بين الاسبان المسيحيين وبين المسلمين فى الأندلس إلى أن يتعلم هؤلاء اللهجة الرومانسية وهى متفرعة من اللغة اللاتينية والأيبيرية حتى يتمكنوا من التحدث بها وقت الظروف ، وكانت اللهجة فى شبه الجزيرة الأيبيرية ؛ هي الوسيلة الوحيدة للتعبير بين عامة أسبانيا المسلمة والمسيحية فى تلك المدن ، وكان المسلمين فى الأندلس نسبة عالية من يتحدث إلى جانب العربية الرومانسية بسهولة سواء داخل بيوتهم أو خارجها أو فى الشارع ، وكذلك أصبحوا يستخدمونها فى أحاديثهم الإٍسرية وبين كل طبقاتهم الاجتماعية بما فى ذلك قصر الخلافة نفسه (7).

وإذا ما طرحنا مسألة المفردات العربية فى اللغة الاسبانية يجب أن نبرهن أن اللغة الأسبانية قد اشتقت فى أصولها من اللهجات الأيبيرية اللاتينية التى أصبحت تشكل الرومانسية الأسبانية ، ثم وجدت اللغة الأسبانية نفسها مضطرة إلى الأخذ من هذه اللهجات طيلة مراحل نموها حتى القرن التاسع ثم وجدت نفسها مرة أخرى مضطرة إلى الأخذ ن اللغة العربية كل ما

---

6 – مرجع سابق ، ص46

7 –مرجع سابق ، ص51 ، تاريخ غزوات البربر ، باريس 1938 ، ص67.

ينقصها من مفردات حتى تستطيع التعبير فى الحياة العامة فى مختلف النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية [8].

وإذا ما بحثنا عن عدد من المصطلحات التى دخلت إلى اللغة الاسبانية من اللغة العربية فى العصر الوسيط والعصر الحديث ، وخاصة فيما يتعلق بالنظم العسكرية والمدنية فى اسبانيا فسوف نجد العديد من المفردات والمصطلحات ذات الأصل العربي تعج بها المعاجم الاسبانية ، ففي رتب الجيش الأسباني تطلق كلمة الفارس بالعربي ة حتى الآن Alferaz ، وتطلق كلمة الطليعة Atalaya على مقدمة الجيش ، وكذلك دخلت إلى اللغة الأسبانية عدد من المفردات العربية المتعلقة ببعض مصطلحات مؤسسات الدولة ، مثلا الضرائب يطلق عليه فى العربية القبالة Alcabala ؛ وهو مصطلح مازال موجود فى اللغة الأسبانية ، ورئيس البلدية اسم Alcalde وهى لغ ة القاضي أصابها نوع من التحريف اللغوي ، وكان مسيحيو شمال أسبانيا يستخدمون الكلمات العربية التى تد خل بعض المناصب السياسية مثل صاحب الشرطة Zava Zaorta ، والمحتسب Almatace`n ؛[9] وهو شخص يضبط المكاييل والموازين فى الأسواق ، وكلها ألفاظ أخذت عن العربية إبان الاتصال بين المسلمين الأندلس وأسبانيا المسيحية فى شبه الجزيرة الأيبيرية .

وفى الميدان المعماري ، فقد دخلت عدد من المصطلحات الفنية فكلمة البناء يأخذ الاسم العربي Albanail وكلمة طابية Zabia' وهى

---

8 – ليفى بروفنسال ، مرجع سابق ، ص120

9 –انجل بالنثيا ، الإسلام والغرب ، ص28–29

نفس كلمة الطوب ، وقد دخل هذا المصطلح إلى اللغة الأسبانية بنفس اللغة العربية Adobe[10].

كما لا يمكن أن ننسى ما قامت بعه اللغة العربية من تأثير فى أسماء الأمكنة وبخاصة فى جنوب شبه الجزيرة ، وهى لا تزال تحمل أسماء عربية أصيلة ومنها أسماء الحصون مثل حصن Almodauar وأسماء الأودية مثل Guadalguiviv والوادي Galuatajud[11]، وقلعة أيوب. وقد أصاب هذه الألفاظ العربية الكثير من التحريف ، ويظهر كذلك تأثير الثقافة الأندلسية فى المصطلحا ت والموازين الريفية سواء فيما يتعلق بميزان المحاصيل الزراعية ، وطرق الري أو يتعلق بقياس الأراضى ومساحتها الى غير ذلك فى الكلمات العربية التى تظهر فى اللغة الأسبانية فى مجال الزراعة مثل كلمة الناعورة Naria ، وكذلك كلمة الشباك التى يقوم بها الصيادون فى صيد الأسماك عند مزاولة حرفة الصيد وهى تعرف بالشباك أو المضربة وهى كلمة من العربية وتعرف فى الاسبانية Almadrabas (12)

كما أن اسبانيا المسيحية مازالت تستعمل فى معجم النباتات العديد من المفردات العربية وبعضها انتقل عن طريق اسبانيا عبر جبال البرنس

---

10 انجل بالنثيا ، نفس المرجع ، ص29

11 – ليفى بروفنسال ، مرجع سابق ، ص116

12 – عبد المنعم ماجد، " تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى " ، طبعة القاهرة 1973 ، ص287 . وانظر أيضا :

– العقاد " أثر العرب فى الحضارة الأوربية " ، دار المعارف مصر ، ص48–50

– ليفى برونسفال ، مرجع سابق ، ص117

إلى فرنسا ، مثل كلمة البرقوق وهى المشمش دخلت إلى اسبانيا تحت كلمة Albaricogue وفى اللغة الفرنسية Abricot

وكذلك كلمة الزعرور فى العربية انتقلت هى الأخرى الى الأسبانية Alzerole ، والزعفران Alzafranوالزيت [13] Acelte ، وقد أصاب تلك الكلمات العربية الكثير من التحريف فى القاموس اللغوي الاسبانى ، كما أدخلت إلى الأسبانية عدد من أسماء الألوان وأسماء الأقمشة حيث انتقلت صناعة الأقمشة من المشرق إلى الأندلس الإسلامى على يد ابن الحسن ابن نافع الملقب بزرياب ، ومن الأندلس انتقلت إلى أسبانيا المسيحية مع القرن التاسع والقرن العاشر الميلادي .

لقد كانت الألفاظ المتصلة بالملابس وتفصيلها والأحذية بأنواعها وقص الشعر وتسريحه كلها ألفاظ عربية على وجه التحديد ؛ فالوثائق المحفوظة عن تلك الفترة سواء ما يتعلق بعقود الزواج أو ملابس السيدات المسيحيات كانت تحمل اسمها العربي نفسه ، حتى بعد أن سقطت اسبانيا الإسلامية ، وعلى سبيل المثال يقال فى المعاجم الاسبانية عن كلمة الجبة فى العربية وفى الأسبانية Algubas والدرعة Adorras وهى عبارة عن جبة تتكون من إزار ، والمبطنة Mobatanas [14]

وبمعناه فى اللغة العربية العامية الملابس المبطنة ، والنسيج الحريري الموشى الطراز Alteraz ... إلى آخره ومهما أصاب تلك الكلمات العربية

---

13 – عبد المنعم ماجد " تاريخ الحضارة العربية فى العصور الوسطى " ، ص: 287 –288 ، وانظر أيضا :

– ليفى بروفنسال ، مرجع سابق ، ص116–117

14 – عبد المننعم ماجد ، مرجع سابق ، ص 286. وانظر ايضا :

–ليفى برونسفال ، مرجع سابق ، ص17

من تحريف فقد بقيت تستخدم فى المعجم الاسباني حاملة معها التأثير الحضاري للغة العربية فى أسبانيا المسيحية .

كذلك يظهر التأثير الإسلامي الأندلسي فى المجوهرا ت التي تحمل هي الأخرى التأثير العربي فى أسمائها ، وحازت قرطبة واشبيلية قبل غيرها شهرة كبيرة ، ونفس الشيء يقال عن السجاد والصناديق والأقفال ، وكانت تلك الأشياء التي يصنعها المسلمون فى الأندلس تشكل الأثاث فى البيوت عند الطبقة العامة والخاصة سواء فى الأندلس الإسلامي أو الممالك المسيحية [15] باسبانيا فى الجزء الشمالي .. لقد كانت هذه الت أثيوات الأندلسية دليل على مدى اتساع الإشعاع الحضاري الذي أعطته اسبانيا الإسلامية لاسبانيا المسيحية والبلاد المجاورة لها وعن طريق اسبانيا المسيحية انتقل الإشعاع الحضاري العربي الإسلامي إلى فرنسا .

لقد أخذت أنواع الأقمشة والألوان الدارجة والأنسجة المقصبة الثقيلة ومبتكرات العاج وأحجار الكرمان وقنان البلور المصنوعة ، وغيرها شهرة كبيرة عند سيدات اسبانيا وفرنسا ، وكانت تلك الأقمشة بجميع أنواعها والمجوهرات تعرض فى أسواق أوروبا [16]

ويبدو أن إشعاع الثقافة الأندلسية فى الأراضى المسيحية لم يتوقف بل بلغ أقصى توهجه فى القرن العاشر الميلادي ، ولم يقف ملوك اسبانيا النصرانية

---

15 – زيغريد هونكه ، " شمس العرب تسطع على الغرب " ، بيروت 1964 ، ص 532،
– ليفى بروفنسال ، ص 117–118
– شكيب ارسلان ، تاريخ غزوات العرب ، بيروت 1983 ، ص 337
16 –عبد المنعم ماجد ، مرجع سابق ، ص 113
– ليفى برونسال ، مرجع سابق ، ص 144
– شكيب ارسلان ، تاريخ غزوات العرب ، بيروت ، 1983 ، ص 238–239

حاجزا أمام ذلك الإشعاع الحضاري ، حيث أن ملوك فشتالة واراجون هم أنفسهم كانوا يستخدمون تلك الأِ شرباء الثمينة والتحف التقليدية والعروض الفنية فى حفلات بلاطهم ورحبوا بتلك المبتكرات الحضارية المأخوذة من المسلمين ، بل إن بعض ملوك اسبانيا كانوا يضربون عملتهم خلال العصور الوسطى من احد وجهتها عربي والآخر قشتالى [17].

ويأتي التأثير الفني فى مقدمة التأثيرات الثقافية فقد انتقل الفن المعماري فى قرطبة عن طريق مهندسي البناء والزخرفيين المسيحيين فى اسبانيا وفرنسا ، وقد شمل هذا الفن حتى المعمار غير الديني ، مثل الأسوار العسكرية والمنشآت ذات النفع العام كالجسور والقنوات المائية إلى يرجع إنشاؤها فى أسبانيا إلى العصور الوسطي[18].

ويظهر كذلك تأثير المسلمين فى تطوير الفنون الصغرى فى صناعة العاج أو ما نلاحظه فى الصناديق الإسلامية الصغيرة الجميلة التي يقوم بها أبناء المستعمرين فى ورش المدن الأندلسية ، ومدن قشتالة مثل المصنوعات الذهبية والزجاجية والخ زفية وصناعة الأقمشة والسجاد ، وقد استمرت صناعة الأواني الذهبية تصنع فى مقالة وبل رنسيه إلى بعد انتهاء حرب الاسترداد كما يسميها الأوربيون ، كذلك استمرت معامل الأسلحة التي كانت تدار بواسطة الصناعين المسلمين فى طليطلة وكذلك صناعة الجلد فى قرطبة [19].

---

17 – زيغريد هونكه ، " شمس العرب تسطع على الغرب " ، بيروت 1964 ، ص 532، ليفى بروفنسال ، مرجع سابق ، ص339–

18 – ليفى بروفنسال ، مرجع سابق ، ص124الفن الاسباني المغربي والفن الروماني ، " مجلة هيسبريس مجلد 17 ، 1933 ، ص43.

19 – ليفى بروفنسال ، محاضرات فى الأدب الأندلسي وتاريخه ، ص66،

وقد كانت الكؤوس المقدمة والصلبان وتيجان قشتالة الملكية وملابس الرهبان التى كانت تمتاز بالضخامة والروعة ، قد بقيت الكثير منها خزائن الكنائس الاسبانية يحتفظون بها حتى وقت قريب ، وهذه العناصر الفنية كانت متأثرة بالفن الإسلامي حيث جاءت مطعمة فى الغالب بنقوش متأثرة بالفن الأندلسي الإسلامي تظهر عليها بعض آيات قرآنية أصابها التحريف مع مرور الوقت على يد النساخ[20].

وعندما أشرفت حركة الاسترداد على نهايتها رأى الفونسو العاشر أنه لابد من إنشاء مؤسسة كبير للترجمة تحت رعايته تنقل الى اللغة القشتالية ترجمة أو اقتباس كل التراث الثقافي الذى خلفه العرب فى البلاد التي استولوا عليها ، وقد اشرف على هذا العمل عدد من المسلمين والمسيحيين واليهود وأصبحوا فريقا متكاملا وزاد من الاهتمام بالثقافة العربية أن انشأ الفونسو معهد للدراسات اللاتينية والعربية فى اشبيلية عام 1254 بالمباركة من البابا اسكندر الرابع ، واتخذ فريق الترجمة مدينة طليطلة مقرا لهم [21]. وقد عمل الفريق بإشراف ألفونسوا العاشر الملقب بالحكيم سنة 1252وكان قد فتح فى عاصمة ملكه مدرسة فى طليطلة للترجمة ، كما

– كمال شبانه ، يوسف الأول سلطان بنى الأحمر ، القاهرة ، 1969 ، ص 192 – 193، وانظر أيضا :

– زكى محمد حسن ، " فنون الإسلام " ، القاهرة 1998 ، ص 334.

– د. الدهمانى سالم الدهمانى ، التاريخ السياسي والاجتماعي لمملكة غرناطة فى ظل بنو الأحمر ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة 2002 ،2003 ، ص162.

20 – عبد المنعم ماجد ، مرجع سابق ، ص287. وانظر أيضا :

– ديماند ، النون الإسلامية ، ترجمة احمد عيسى ، القاهرة ، ص 91.

21 – هونكة ، مرجع سابق ، ص630 –532 ، وانظر أيضا :

– عبد لمنعم ماجد ، مرجع سابق ، ص279

أشرنا جعل فيها علماء مسلمين ومستعربين ويهود ينقلون الى الاسبانية أو القطلونية أو اللاتينية العلوم العربية ؛ ففى الوقت الذى كانت أوربا يخيم عليها الظلام نجد أن الأندلس الإسلامي يطل بحضارته الزاهرة على اسبانيا المسيحية وأوربا [22]

وما يؤكد تأثير الثقافة الإسلامية الأندلسية على الثقافة الاسبانية هو شهادة أحد المؤرخين الأسبان إنجل بالنثيا فى عبارته التي إن دلت على شيء فإنما تدل على عمق الحضارة العربية الإسلامية فى اسبانيا المسيحية خاصة وأوربا عامة .حيث يقول : ليس أدل على ذلك بتلك الحقيقة التي يعرفها كل إنسان وهى أنهم كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب ، واتخاذ أسمائهم وأزيائهم ، ويجتهدون فى أن يأخذوا الطابع الإسلامي فى كل مناحي حياتهم [23]

وهناك شواهد تدل على أن اللغة العربية قد حلت محل دراسة اللغة اللاتينية فى معظم أرجاء البلاد المسيحية ؛ حتى أن لغة الدين المسيحي تطرق لها الإهمال والنسيان مع مرور الأيام يقول المؤرخ أرنولدو توماس: " إن اللغة اللاتينية بلغت فى بعض أجزاء أوربا درجة كبيرة من الانحطاط حتى لقد أصبح من الضروري أن تترجم قوانين الكنيسة الاسبانية القديمة والإنجيل إلى اللغة العربية حتى يسهل استعمالها على المسيحيين ، بينما اتجه الناس إلى دراسة الآداب العربية التي ازدهرت فى تلك الفترة من

---

22 – عبد المنعم ماجد ، نفس المرجع ، نفس الصفحة ، ، وانظر أيضا:
حسين مؤنس ، فجر الأندلس " ، ص523

23 – إنجل بالنثيا " تاريخ الفكر الأندلسي " ، ترجمة حسين مؤنس 1955، ص485.
– منى حسن محمود ، " المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة " 92 هـ 206 هـ/ 714م –815 م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، طبعة 1986 ، ص257.

حماسة وشغف " وقد كان للمستعمرين دور هام فى نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى اسبانيا المسيحية وأوربا ؛ إذ كانت الهجرات إلى الأراضى المسيحية لم تقف منذ الفتح الإسلامي ، مما ساعد ذلك على التعريف بحضارة الإسلام ونشرها فى اسبانيا والعالم اللاتيني [24].

ويمكن القول أن دور المستعمرين فى الحياة الأندلسية من العوامل الهامة التي ساعدت على نقل الثقافة العربية الإسلامية الى اسبانيا ؛ لأنهم كانوا يعرفون اللغتين العربية واللاتينية الحديثة فكانوا على اتصال مباشر ، وخاصة فى ميدان التجارة بين شطري اسبانيا وبالتالي الاتصال أيضا بغربي أوربا وجنوب فرنسا [25].

كما كان لليهود القاطنين بالأندلس دورا فى نقل العربية الى أوربا ، حيث كانوا يزاولون مهنة التجارة ، والطب وعلى دراية كاملة باللغة العربية ، وقد ساعدوا أوربا على نقل العلوم العربية بمختلف أنواعها وفروعها وساهموا فى أعمال الترجمة بطليطلة ، وقد كان للسبايا اللاتي أسرهن الفرنجة أثناء الحروب والتي استمرت عشرات السنين دور فى نقل الثقافة العربية إلى أوربا حيث خدم هؤلاء الأسرى فى قصور الملوك ، والإشراف وكانا لهم أثرا كبيرا فى نقل الغناء العربي والموسيقى العربية إلى اسبانيا وأوربا [26]

---

24 – أرنولدو توماس ، " الدعوة إلى الإسلام " ، ترجمة صابر إبراهيم ، ص 160 – 162، وانظر أيضا :

– منى حسن محمود ، مرجع سابق ، ص258.

25 – هونكه ، نفس المرجع ، ص530– وانظر أيضا :

– احمد لطفى عبد البديع ، الإسلامي فى اسبانيا ، ص86.

26 –26 – هونكه ، نفس المرجع ، ص532. وانظر أيضا :

– عبد الله عنان " دولة الإسلام فى الأندلس " ، ج1، ص : 503

– عبد الرحمن حجى " أندلسيات " ، ج 1، ص30.

كما أن اسري الفرنجة فى المعارك كانوا يتعلمون العربية ويتأثرون بحضارة الإسلام وقد حمل هؤلاء مشعل الحضارة العربية عبر الأندلس عندما عادوا من قرطبة وسرقسطة وغيرها من مراكز الثقافة الأندلسية ؛ كما مثل تجار ليون وجنوا وغيرهم من الحجاج المسيحيين القادمين من شمال الأندلس دورا فى نقل أسس الثقافة الأندلسية إلى بلادهم [27]

لقد كان للمستعمرين واليهود الذين ينتقلون بين الأندلس الإسلامي واسبانيا المسيحية وفرنسا سواء كانوا فى إطار البعثات الدراسية أو التجارة ، قد حملوا معهم ألوان الحياة المتقدمة فى الأندلس فى ميدان الزراعة والصناعة والفنون [28]

كما أن المسلمين الذين قاموا فى شمال اسبانيا وفرنسا تركوا أثرا عظيما فى ميدان الزراعة ، بل إن عرب بروفانس المهاجرين من الأندلس هم أول من استثمر أشجار البلوط [29].

ويضيف المؤرخ الأسبانى إميليو غرسيه عن الثقافة العربية الإسلامية فى أسبانيا المسيحية وأوربا بقوله : " إن مظاهر التقدم الكبير فيما بين القرنين الثامن والثاني عشر الميلادي فى المحيط العقلي يرجع الفضل فيه إلى المسلمين ومن ثم كانت العربية لغة التقدم فى حين أن اللاتينية كانت لغة ثقافة الغرب الأوربى ولم تعد لها قيمة بالقياس إلى العربية " .

---

27 – هونكه ، نفس المرجع ، ص532. وانظر أيضا :

– منى حسين محمود ، مرجع سابق ، ص257–258

28 – هونكه ، نفس المرجع ، ص533. وانظر أيضا :

– شكيب ارسلان ، " تاريخ غزوات العرب ، بيروت 1983 ، ص337.

29 – هونكه ، نفس المرجع ، ص532.

وبحكم التوافق العظيم للحضارة العربية ظهرت تأثيرات فى شمال اسبانيا وجنوب فرنسا منذ القرن الثامن ثم تضاعفت تأثيراتها فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي؛حيث أخذت تنتقل على نطاق واسع من اشبيلية إلى اسبانيا المسيحية إلى شعوب أوربا الأخرى ذات الثقافة اللاتينية (30)

وقد كان للتأثيرات القرطبية فى الغرب المسيحي أثرها الواضح حيث انتقل إشعاع الحضارة الأندلسية إلى أوربا المسيحية ويتمثل مصدر هذا الإشعاع الواضح الفني لقرطبة فى مسجدها الذي كان موضع تعظيم أهل الأندلس ، والمركز الديني الأول فى البلاد ، وقد كان فن العمارة والزخرفة المتمثل فى جامع قرطبة يؤلف مدرسة فنية تلقت فنون الغرب المسيحي دروسها عليه (31).

الاسبانية المسيحية واختلاطهم بسكان هذه المناطق ثم حصل نوع من الزواج والتواصل الحضاري بين التقاليد التي حملوها معهم والتقاليد المحلية (32)

وتم نقل نظم الحضارة القرطبية إلى أسبانيا المسيحية عن طريق تسلل جماعات من النصارى المستعمرين المعاهدون الذين فروا من سياسة الاضطهاد التي جرى عليها المتأخرون من الحكام المرابطون ، والموحدون

---

30 –شكيب ارسلان ، مرجع سابق ، ص 226

31 – شكيب ارسلان ، مرجع سابق ، ص 530–532.

– هونكه ، نفس المرجع ، ص534.

32 – إميليو غرسيه غومس ، " الثقافة العربية وكيف أثرت فى اسبانيا " ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ، تعريب أحمد هيكل ، ص 3، وانظر أيضا :

– هونكه ، مرجع سابق ، ص 539.

إلى المناطق كما انتقلت التأثيرات الفنية القرطبية إلى المدن الأوربية وخاصة بعد حروب الاستيراد المسيحي ضد المسلمين فى الأندلس ، ورؤيتهم للآثار الإسلامية الاسبانية سواء كانت مستعربة أو مدجنة ومحاولة تقليدها فى بلادهم[33]

33 – عبد العزيز سالم ، " قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس "ص 2 دار النهضة ، بيروت 1992